أجل ﴿فَلَا﴾ إيمان لهؤلاء الأنكاد المتحاكمين إلى الطاغوت، ﴿وَرَبِّكَ﴾ الذي رباك بهذه التربية القمة الفائقة التصور ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ صالح الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ كرسول من الله ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ واختلط من أحكام زمنيةٍ أو روحيةٍ حيث الرسالة القدسية بسناد الكتاب والسنة هي مرجع كلّ التشاجرات ﴿ثُمَّ﴾ بعد تحكيمك حتى ﴿لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ مهما كان عليهم، وحتى ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾ لقضائك ﴿تَسْلِيمًا﴾ طليقاً رفيقاً[1].

وإذا كانت هذه الثلاث وجاه رسول الله شروطاً في واقع الإيمان بالله، فبأحرى أن تكون شروطه وجاه حكم الله رجاحة الأصل على الفرع، وفضيلة المرسل على الرسول.

ومما يستفاد من ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ﴾ أن الإيمان بالله وبشرعته لا يكفي ما لم يحكمَّ رسول الله فيما شجر بينهم، فـ«وما اختلفتم فيه من شيء فردوه

= قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا فقال: هو والله الإخبات قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هُود: ٢٣].

(١) في الدر المنثور ٢: ١٨٠ عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته فأنزل الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ...﴾ [النِّساء: ٦٥].
وفيه أن عروة بن الزبير حدث عن الزبير بن العوام أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ إلى رسول الله في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل فقال الأنصاري: سرح الماء يمر بي فأبى عليه فقال رسول الله ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله ﷺ إن كان ابن عمتك فتلوّن وجه رسول الله ﷺ ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك واسترعى رسول الله ﷺ للزبير حقه وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري فلما حفظ رسول الله ﷺ الأنصاري استرعى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير: ما أحب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ...﴾.
وفيه أخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال: لما نزلت هذه الآية قال الرجل الذي خاصم الزبير وكان من الأنصار: سلمت.

إلى الله» وذلك التحكيم إلى رسول الله ﷺ يحصران مرجع المشاجرات في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بأصالة الكتاب وهامشية السنة.

فكما التارك لكتاب الله المقبل إلى السنة غير مؤمنٍ بشرعة الله ولا معتصم بحبل الله جميعاً، كذلك المقبل إلى الكتاب التارك للسنة، فهما - إذاً - الأصلان الأصيلان في كلّ وارد وشارد من المشاجرات في كلّ حقولها، دون أي مرجع آخر مختلق بين الطوائف الإسلامية شيعية وسنية اماهيه.

وهنا نرى في مثلث الإيمان سيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على صورتها، فـ ﴿لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ تحمل ﴿لَآ إِلَٰهَ﴾ ثم ﴿يُحَكِّمُوكَ... وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ تحملان ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهكذا نرى في واقع الكلمة التوحيدية في كافة الأقوال والأحوال والأعمال أنها تضم كلا السلب والإيجاب.

ولا تختص هذه الآية بالمنافقين الصامدين على نفاقهم، بل هي شاملة لهم وللمنافقين الذين يطبّقون هذه الثلاث بعد تخلفات كما حصل، وكذلك ضعفاء الإيمان المتحرجون أحياناً من حكم الرسول ﷺ.

إذاً فهذه الثلاث تشمل هؤلاء الثلاثة دونما اختصاص بكتلة دون أخرى مهما كانوا دركات.

﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴿٦٦﴾﴾:

﴿ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾ هما من البليات التي نُكب بها المتخلفون من اليهود، ﴿وَلَوۡ﴾ هنا لمحة إلى استحالة هذه البلية وأمثالها في هذه الأمة المرحومة، وهي في نفس الوقت تنديدة شديدة بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أن ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا... مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ وهم الفرقة الثالثة من الذين ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ...﴾ و«إن

من أمتي لرجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي»[١] وهؤلاء القليل هم من أولئك الأكارم مهما اختلفت الدرجات[٢].

وقد يتقبل الله منهم توبتهم بعد حوبتهم إذا رجعوا إلى واقع الإيمان، تطبيقاً لشروطه الثلاثة الماضية دون أن يحمَّلوا بأن ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ وهم الثلّة المنافقة منهم دون القلة المؤمنة بالعظة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من تطبيق شروطات الإيمان ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يقابل شراً لهم ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ على الإيمان المدعى، والأشد هنا مجاراة معهم إذ لم يكن لإيمانهم أي شد حتى يصبح أشد تثبيتاً.

﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾:

﴿وَإِذًا﴾ تحقيقاً لما يوعظون به، سواء من هؤلاء المتخلفين - وبأحرى - السالكين مسالك الإيمان دون نكول ولا أفول ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ على عظيم ما فعلوا من الوعظ في مثلثه السامي، ثم ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ تحقيقاً حقيقاً رفيقاً لاستدعاء الهداية في الصلاة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

---

(١) الدر المنثور ٢: ١٨١ - أخرج ابن جرير وابن إسحاق السبيعي قال: لما نزلت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ [النِّساء: ٦٦] قال رجل: لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: إن من أمتي..

وفيه عن زيد بن الحسن قال: لما نزلت هذه الآية قال ناس من الأنصار: والله لو كتبه الله علينا لقبلنا الحمد لله الذي عافانا فقال رسول الله ﷺ: الإيمان أثبت في قلوب رجال من الأنصار من الجبال الرواسي.

(٢) المصدر - أخرج ابن أبي حاتم عن شريح بن عبيد الله: لما تلا رسول الله ﷺ هذه الآية أشار بيده إلى عبد الله بن رواحة فقال: لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل.

فأصل العظة الأصيل هو طاعة الله والرسول كما ابتدأت به آية فرض الطاعة المثلثة.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾:

آية وحيدة في القرآن كله تعرِّف بالذين أنعم الله عليهم بمواصفات أربع كقمة عليا، حيث نهتدي في دعاء الهداية إلى صراطهم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1] [2].

أترى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الموعود بهذه المعية المشرِّفة هو كلّ من أطاع الله ورسوله مهما كانت قليلة؟ وليست تكفي هكذا طاعة لهدي الصراط المستقيم[3].

﴿يُطِعِ﴾ بالصيغة المضارعة دون «أطاع» تلمح صارحة إلى استمرارية الطاعة، وأنها سنة المطيع في حياته الإيمانية، مهما فلت عنه فالت وابتلي بلممٍ عن جهالة مغفورة.

وتلك الطاعة محلقة على كافة الحقول الحيوية عقيدية وثقافية وخلقية وعملية أمّاهيه[4]؟.

ذلك، وكما ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ... وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾

(١) سورة الحمد، الآية: ٧.

(٢) نور الثقلين ١: ٥١٥ في كتاب معاني الأخبار عن الإمام الحسن عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] أي قولوا: اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عزوجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ...﴾.

(٣) كما فصلناه على ضوء آية الحمد فراجع الفرقان (١: ١١٧ - ١٣٣).

(٤) المصدر السابق.

تؤكد على طليق الإيقاظ بكلّ وعظ، فـ ﴿يُوعَظُونَ بِهِۦٓ﴾ و«يطع» متجاوبتان في تداوم الطاعة لله والرسول وتداوم الاتعاظ.

وهنا في القواعد الأربع للمنعم عليهم نجد القاعدة القمة ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وهم بطبيعة الحال ليسوا ممن تعنيهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ حيث الرسل لا يطيعون أنفسهم، ثم الثلاثة الآخرون هم القمة العليا - على درجاتها - ممن ﴿يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فهم يتلون تلو الرسول في كونهم من المنعم عليهم المستدعى هدي صراطهم، فهم - إذاً - خارجون عن المستدعين وعمن يطيع الله ورسوله هنا حيث تعني من دون القمة العليا من المطيعين الله والرسول.

صحيح أن الثلاثة الآخرين هم أيضاً ممن يطيع الله ورسوله وفي قمتهم، ولكن معية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ مع هؤلاء بعد النبيين تجعلهم خارجين عن المعنيين بهؤلاء المطيعين.

وهنا ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ مفردة تعني محمداً ﷺ و﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ تعني أولي الرفعة من الرسول الذين أوتوا الكتاب، و«الرسول» هنا دون «النبي» للتدليل على رسالته إليهم كما إلينا، وأن موقف الطاعة هو الرسالة الربانية.

وتعني ﴿وَمَن يُطِعِ﴾ فيمن عنتهم سائر النبيين المطيعين لله ولهذا الرسول، حيث يصبحون معه كما صدقهم لما آمنوا به من قبل ويؤمنون، ونصروه وينصرون.

﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ هم مَن دون النبيين رسلاً وسواهم كخلفاء الرسل والنبيين.

والصديق صيغة مبالغة من الصدق، صدقاً في كلّ أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وتصديقاً للنبيين، مبالغين الذروة العليا في الصدق والتصديق.

صحيح أن «الصديق» بقولٍ طليقٍ يشمل كلّ صديق، ﴿نَّبِيًّا﴾[1] كإبراهيم

(١) سورة مريم، الآية: ٤١.

و﴿إِدْرِيسَ﴾[١] - ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ أم من يحذو حذوه في أعلى قمم الإيمان كمريم عليها السلام: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[٢] كذلك ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...﴾[٣].

إلَّا أن قَرْن «الصديقين» هنا بالنبيين والشهداء والصالحين، يجعلهم بعد النبيين، وهو يشمل سائر المرسلين وكافة الخلفاء عنهم المعصومين، أم ومريم الصديقة وبأحرى الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليهما، فإنهما من ذروة الصديقين.

ثم «الشهداء» علّهم شهداء الأعمال، الشاملة لغير هؤلاء الصديقين من كاملي الإيمان، إذ لم تأت الشهادة في لفظ القرآن بمعنى الاستشهاد في سبيل الله.

ذلك ولكن طليق الشهداء يشملهم بما لهم من الزلفى عند الله، الفائقة على سائر الصالحين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٤]. فهم - إذاً - فوق الصالحين الذين لم يقتلوا في سبيل الله، فهم - إذاً - من هؤلاء الشهداء.

وقسم ثالث من «الشهداء» هم شهداء الحق بما لهم من مكانة معرفية وعملية في شرعة الله ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥] وهم الشفعاء الخصوص وكذلك سائر الشهداء لله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾[٦] - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾[٧].

(١) سورة مريم، الآية: ٥٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.
(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٨.

فهم سائر المؤمنين العالين في درجات الإيمان قدر ما يصلح كونهم من أصحاب الصراط المستقيم، الذين نتطلب هدي صراطهم في صلواتنا ليل نهار.

فـ «الشهداء» في طليق القول مهما تعم كلّ شهداء الأعمال والمستشهدين في سبيل الله نبيين أو صديقين وشهداء الحق ولكنهم هنا غيرهما لقرنهم بهما، وكذلك «الصالحين».

فهذه المقارنة المربعة تجعل كلًّا من هؤلاء الأربعة على حدِّه، مهما اجتمعت كلّ هذه المواصفات أو بعضها في البعض من هؤلاء الأكارم.

وطليق «الشهداء» يشمل هؤلاء الثلاثة مهما كانوا درجات ثلاث، فالصالحون الذين ليسوا بشهداء بأيّ من هذه المعاني الثلاثة هم المعنيون بـ«الصالحين» هنا.

فالأنبياء المستشهدون في سبيل الله وهم شهداء الأعمال وشهداء الحق، وهم صديقون عند الله، وهم صالحون، هؤلاء هم أصدق مصاديق المنعم عليهم، ويرأسهم خاتمهم ﷺ: ﴿مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[1].

والصديقون الشهداء في أبعادها الثلاثة وهم الصالحون القمة بعد النبيين، هؤلاء في الدرجة الثانية، والشهداء بأبعادها هم بعد هؤلاء الصديقين، ثم الصالحون.

والأئمة من أهل بيت الرسالة المحمدية هم مجمع الثلاثة الأخر، فإنهم الصديقون الأوَّلون بهذه الرسالة القدسية، وهم الشهداء بعد الرسول ﷺ ووسطاء بينه وبين الأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] فإنه ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

﴿هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] وهم المستشهدون في سبيل الله.

ثم وهم أصلح الصالحين بعد الرسول ﷺ، إذاً فهم الذروة العليا بعد الرسول ﷺ وأفضل من كافة النبيين والشهداء والصالحين.

فأول المنعم عليهم من أصحاب الصراط المستقيم هو أوّل العابدين وقد جمعت له الرسالات الإلهية وهو أفضل الصديقين والشهداء والصالحين، ثم عترته المعصومون الجامعون لهذه المواصفات الثلاث، ثم النبيون والشهداء والصالحون ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

ثم الصديقون الذين ليسوا بأنبياء وهم شهداء وصالحون كأفضلهم، ثم الشهداء غير البالغين درجة الصديقين وهم أفضل الصالحين.

ثم الصالحون، وهم ليسوا نبيين ولا في قمة التصديق والشهادة.

فلكل من هؤلاء الأربعة درجات اجتمعت كلها في أهل بيت الرسالة المحمدية ﷺ.

ولماذا هنا «رفيقاً» بإفراد؟ وقضية الأربع، وكلٌّ مع ذلك جمع فهم جموع: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾! علّه أدبياً لأن الرفيق تأتي للجمع كما المفرد، ومن ثم معنوياً لأنهم واحد في أصل النعمة وهي الصراط المستقيم مهما اختلفت درجاتهم، كما الرسل والرسالات واحدة وهم وهي عدة، لأنها سلسلة واحدة موصولة على مدار التاريخ الرسالي.

ولرؤوس الزاوية من مربع المنعم عليهم مكانتهم العليا وكما يذكر في الذكر الحكيم عديد منهم هم: زكريا - يحيى - عيسى - إبراهيم - إسحاق - يعقوب - موسى - إسماعيل وإدريس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾[1].

وطبيعة الحال في التدرج إلى نعمة الصراط المستقيم أن يتطلب كلٌّ المزيد مما هو عليه، فغير الصالح يتطلب صراط الصالحين، والصالحون يتطلبون صراط الشهداء والشهداء يتطلبون صراط الصديقين والصديقون يتطلبون صراط النبيين والنبيون بسائر أصحاب الصراط والمتطلبين صراطهم يتطلبون صراط أوّل العابدين وهو نفسه يتطلب الدوام على صراطه والمزيد منه وكما أمره ربه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[2].

فلا وقفة لعجلة التطلب في هدي الصراط المستقيم فإن حق المعرفة والعبودية لا نهاية لهما، والعباد هم دوماً سائرون إلى صراط فصائرون إليه ثم سائرون إلى ما فوقه فصائرون، وإلى ما لا حدّ له.

وليس طلب الهدي إلى الصراط المستقيم محدداً بهذه الحياة القصيرة الزائلة، بل هو بأحرى جار متواتر بعد الموت ثم القيامة الكبرى فإنما الدنيا مزرعة للأخرى فكيف تُحرم في الأخرى عما زرعته في الأولى.

ثم الصديقون وهم الدرجة الثانية في ذلك المربع هم أهل بيت الرسالة المحمدية كأصدق مصاديقهم[3] مهما شملت سائر خلفاء النبيين رسلاً وسواهم، أم وغير الخلفاء كمريم وفاطمة الصديقة الكبرى سلام الله عليهما.

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٥٦-٥٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٣) لقد تواتر الحديث من طريق الفريقين أن علياً عليه السلام هو أول الصدِّيقين ومن طريق إخواننا نذكر زهاء أربعين من الفطاحل الذين نقلوا أو أخرجوا تفسير الصديقين بعلي عليه السلام: منهم أحمد بن حنبل في الفضائل ١٦٥ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصِّديقون ثلاثة: حبيب =

وهذه المعية اللّامعة ليست فقط في الحياة الدنيا، بل وبأحرى في جنة

= البحار وهو مؤمن آل يس وحزقيل وهو مؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم.

ومنهم الثعلبي في تفسيره كما في العمدة لابن بطريق ١١٢ عن عبد بن عبد الله قال سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلَّا كلُّ مفترٍ صلّيت قبل الناس سبع سنين.

ومنهم ابن المغازلي الواسطي كما في العمدة لابن بطريق ١١٣، والرازي في تفسيره ٢٧: ٥٧، وابن حجر الهيثمي في الصواعق ١٢٣ والكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ٥٥ والشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة ١٢٤، والواحدي في أسباب النزول ٦٤، وأبو نعيم الأصبهاني في «ما نزل في شأن علي» وفي كتابه «منقبة المطهرين» والسيد علي الهمداني في ﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشّورى: ٢٣] وابن المغازلي وابن فورك وإبراهيم الحموييني وصاحب خصائص علوي والماوردي والقشيري والثماني والنقاش والقفال وعبد الله الحسين كلهم على ما في اللوامع والزمخشري في الكشاف ١: ١٦٤ والخازن في تفسيره ١: ٢٤٩ وابن الأثير في أسد الغابة ٤: ٢٥ والطبري في ذخائر العقبى ٨٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة ١٧ والكنجي في كفاية الطالب ١٠٨ والرياض النضرة ٢٠٦ والقرطبي في تفسيره ٣: ٣٤٧ وغياث بن همام في جيب السير ٢: ١٢ وأبو حيان في البحر المحيط وابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٧ والهيتمي في مجمع الزوائد ٦: ٣٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ١: ٣٦٣ وفي لباب النقول في أسباب النزول ٤٢ والشوكاني في فتح القدير ١: ٢٦٥ والشبلنجي في نور الأبصار ١٠٥ والشافعي في مسنده ٢: ٩٧ والبخاري في صحيحه ٦: ١٢٠ وفي تاريخه الكبير ٢: ٢٥١ والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ٣٢ وأبو نعيم الأصبهاني في «أخبار أصبهان» ١٣١ والأندلسي في تجريد التمهيد ١٨٥ والخطيب في تاريخ بغداد ٦: ٢١٦ والواحدي في أسباب النزول ٢٧١ والبغوي في معالم التنزيل ٥: ٢٢٥ والديلمي في كتاب الفردوس والسمعاني في مناقب الصحابة وابن العربي في أحكام القرآن ١: ١٨٤ والذهبي في تلخيص المستدرك المطبوع بهامش المستدرك ٣: ١٤٨ والنووي في رياض الصالحين والدشتكي في روضة الأحباب والشيخ محمد إدريس الهندي في التعليق الصبيح في شرح المصابيح ١: ٤٠١ والسيد إبراهيم نقيب مصر في «البيان والتعريف» ٢: ١٣٤ والسيوطي في بغية الوعاة ٤٤٢ ومحمد بن يبير علي أفندي في «الأربعين حديثاً» ٢٦٤ ومحمد الأفكرماني في «شرح أربعين البتكوي» والآلوسي في روح المعاني ٢٢: ٧٢ والسيد أبو بكر العلوي في رشفة الصادي والسيد علوي الحداد في «القول الفصل» ٢: ٢٧٢ والقاضي عياض في الشفاء (ملحقات إحقاق الحق ٢٤٥ - ٢٧٠) (للعلم الحجَّة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظلَّه).